تطور العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية "عام 1956"
قراءة تاريخية وسياسية.

أ.د. عبد الله مقلاتي جامعة المسيلة

الملخص:

في هذا المقال نستعرض علاقة جبهة التحرير الوطني بالنظام البورقيبي التونسي، وذلك في مرحلة حساسة، تميزت بقوة تنظيم جبهة التحرير الوطني ورغبته في اعتماد تونس قاعدة خلفية، وسعي النظام البورقيبي لبناء دولة ناشئة ومستقرة، وفي هذا الإطار تم عقد عدة اتصالات أفضت الى عقد اتفاقية تفاهم سرية، ضمنت علاقات جديدة وتنظيم محكم لتمرير الأسلحة عبر تونس، وهو ما مكن من تحقيق طموحات الطرفين، حيث لبت جبهة التحرير الجزائرية رغبتها في كسب دعم وتعاون تونس، وتمكنت هذه الأخيرة من تحقيق الاستقرار وبناء علاقات منتظمة مع الثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: جبهة التحرير الجزائرية . الثورة الجزائرية . تونس . بورقيبة

Abstract :

In this article we review the relationship of the National Liberation Front with the Tunisian Bourguiba regime at a sensitive stage characterized by the strength of the National Liberation Front and its desire to adopt Tunisia as a background and the Burundian regime's attempt to build an emerging and stable state. This ensured new relations and an orderly organization of arms transfers through Tunisia. This enabled the realization of the aspirations of the two parties. The Algerian Liberation Front (FNL) wished to gain the support and cooperation of Tunisia and was able to achieve stability and build regular relations with the Algerian revolution.

مقدمة :

واجهت تونس صعوبات جمة في إرساء علاقاتها مع جبهة التحرير الوطني، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تعتبر تونس المستقلة حليفا استراتيجيا وقاعدة خلفية مهمة، وأن تونس كانت تشق طريقها لاستكمال مشروع الاستقلال القطري المنقوص، وعليه كان ارتباط تونس بالثورة الجزائرية يفرض حضوره القوي ويخلف تبعات خطيرة على استقرار النظام البورقيبي الناشئ، فكيف تعامل النظام التونسي مع هذه القضية؟، وما هي الدوافع التي اضطرت جبهة التحرير الوطني للتعامل مع هذا النظام وقد كانت تتحالف مع خصومه اليوسفيين؟، وفي هذا المقال نحاول استقراء موضوع تكريس العلاقات بين جبهة التحرير الوطني ونظام بورقيبة، وذلك اعتمادا على وثائق وشهادات جديدة .

أولا . أسباب وظروف تقارب جبهة التحرير الجزائرية مع بورقيبة:

لقد اعتبر بورقيبة أن مفاوضاته التي كللت بالنجاح ولدت اعترافا فرنسيا بالاستقلال التونسي، وأن هده الخطوة ستليها خطوات باتجاه تأكيد الاستقلال التام في تونس، وأثارت سياسته هذه شرخا في البناء المغاربي الذي اعتمد وحدة الكفاح المسلح للوصول إلى الاستقلال التام وتوحيد المغرب العربي، وقد كان على بورقيبة أن يضحي كثيرا وأن يناور ليجد مخرجا لضغوط الإدارة الفرنسية ولضرورات التضامن المغاربي ,ولكن تبريراته السياسة لم تقلل شيئا من حملة التهجم والاتهام بالخيانة، بل إن جبهة التحرير الوطني الحريصة على حل واحد لقضايا الشمال الإفريقي كانت تشن حملة دعاية ضد التوجه البورقيبي([1]), ولم يكن يصدق حينها أن الأوضاع ستنقلب لصالح التحالف مع بورقيبة!.

وقد اتبع نظام بورقيبة سياسة التقرب من مسؤولي الثورة الجزائرية وثنيهم عن التحالف مع خصمه صالح بن يوسف، وراهن على بلورة إطار للتضامن المغاربي يعتمد على تعاون أقطاره وتوحدها ليحتضن أفكار خصومه في ضرورة الاستمرار في المعركة الى جانب الجزائريين، لكن صورة بورقيبة المرتمي في أحضان فرنسا والغرب، وكذا طعنه للقضية الجزائرية، كلها عوامل جعلت مسؤولي جبهة التحرير الوطني يعلنون عداءهم لبورقيبة ويقفون الى جانب صالح بن يوسف المتمسك بمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي، وقد ذكر بورقيبة من بعد خمس وعشرين سنة أن الدوافع التي

دعته لتحمل مسؤولية السلطة التونسية اجتمعت في فتنة صالح بن يوسف المتحالف مع المصريين والجزائريين، والذي كان "يلقى التأييد والمناصرة من إذاعة صوت العرب في القاهرة, ومن ناحية أخرى كان ابن بلة يمثل رجع الصدى لتلك الأفكار المناوئة لنا وكان اللاجئون الجزائريون يعلقون صور عبد الناصر وسط خيامهم وما وسعني إزاء الوضع الشائك آنذاك ألا أن قبلت..."([2]), وقد مثل النفوذ القوي لصالح بن يوسف في تونس وتحالفه مع الثورة الجزائرية ومصر تهديدا خطيرا لبورقيبة، دفعه لارتماء بقوة في أحضان فرنسا والقبول بقاعدة التفاوض على استقلال منقوص في اطار الاستقلال الذاتي و سياسة التكافل, وبدأ بدهائه السياسي يقبض على زمام السلطة في تونس ويزيح خصومه([3]), وفي نفس الوقت اجتهد في فك ارتباط الجزائريين الوثيق بصالح بن يوسف وبالقاهرة، ووجد مداخل الى ذلك في تباين وجهات نظر الجزائريين للبورقيبية، ففي مؤتمر الحزب الدستوري الحر بصفاقس في نوفمبر 1955 أكد الحبيب بورقيبة دعمه للقضية الجزائرية([4]) , وردد باستمرار عزمه على تجسيد اتحاد المغرب العربي"...باعتباره الضامن الوحيد لمناعة المنطقة وأمنها وتطورها ،فاستقلال تونس يظل بدون معنى حقيقي حتى لو اكتمل رسميا إذا بقيت شقيقاتها تحت كابوس القهر والذل", وأعرب عن احتضانه ودعمه للقضية الجزائرية المرتبطة بالقضية التونسية وقد تصور أن المشكل الجزائري سهل الحل رغم اختلاف الأوضاع بين القطرين الشقيقين, وذلك لان تجربة تونس مهدت للحل السلمي الناجح ,ولهذا دعا القادة الجزائريين منذ جانفي 1956 إلى إتباع خطى التجربة التونسية، ونبه التونسيين والجزائريين من قاطني الرديف إلى أن " نجاح التجربة في تونس والمغرب ومواصلتها دون فوضى أو انخرام للنظام سيفتح لا محال بعد سنة أو نحوها باب المفاوضات بين فرنسا والجزائر لا على أساس بلوغ الأهداف كلها دفعة واحدة بل تدريجيا حسب ما يقره ويسلم به العقل في الظروف الراهنة "([5]).

وخروجا عن الإجماع قرر بعض مسؤولي جبهة التحرير الوطني جس نبض موقف الحبيب بورقيبة هل هو مع الثورة الجزائرية أم ضدها ؟.ويذكر محمد حربي أنه رافق بولحروف لمقابلة بورقيبة لما أطلق سراحه وجيء به الى باريس للمفاوضة وانه نصحهما أساسا القبول بمبدأ الحكم الذاتي كمرحلة أولى نحو الاستقلال([6]), ووجد ضمن قيادة جبهة التحرير الوطني في الداخل من يؤمن بواقعية الخيار القطري بدل

تكبيل السلط بالتزامات الجبهة الموحدة، وقد شعر البعض أن أي انتصار يحققه طرف معين يمكن أن يفيد به الآخرين، وفق هذه النظرة بدأ محمد لبجاوي يتتبع سياسة بورقيبة، فبادر للاجتماع به في باريس نهاية عام 1955 رفقة احمد طالب الابراهيمي في حين حضر مع بورقيبة الباهي لدغم و منجي سليم ومحمد المصمودي وبشير بن يحمد، وعرض لبجاوي على بورقيبة وجهة نظر جبهة التحرير الوطني من الكفاح المسلح والعلاقات المغاربية، وأكد بورقيبة ان ما يحصل في أحد البلدان الثلاثة سرعان ما يؤثر على البلدين الآخرين وان اتفاق الاستقلال الذاتي ليس خطا بل خطوة مهمة للاستقلال التام، ويبدو أن بورقيبة وجد الى جانبه محاورا متفهما لأفكاره، بلغه صورة أوضح عن جبهة التحرير الوطني وأهدافها الكفاحية وعلاقاتها المغاربية، ومن فرط إعجابه بهذه الرؤية وتأكيدا للمواقف المعروضة عليه التمس بورقيبة من محاوره أن يضمن أقواله في مقابلة صحفية تنشرها جريدة العمل التونسية باسم قيادة جبهة التحرير الوطني، فكان امتحانا عسيرا لقيادة الثورة في الداخل(7) وهي تقدم إجابات دقيقة عن الأسئلة المصاغة بعناية من قبل بورقيبة وبشير بن يحمد ،خاصة ما تعلق منها بأهداف ومواقف جبهة التحرير الوطني وبعلاقاتها المغاربية(8), واستمر النقاش حول هذه المسائل خلال الثلاثي الأول من سنة 1956 و قبل إعلان الاستقلال التونسي(9), وخلص الى موقف يعارض إستراتجية الوفد الخارجي في مغربة الحرب ،عبر عنه في الحوار الصحفي الذي نشرته جريدة العمل التونسية في 16 أفريل 1956, ونقلته عنها جريدة " لوموند" الفرنسية(10)، إذ أجيب عن سؤال هل استقلال تونس والمغرب منفردين يفيد الجزائر بالقول: "إنه وبدون استقلال الجزائر سيظل استقلال المغرب وتونس مجرد خدعة، وأن مستقبل شمال إفريقيا المزدهر يقوم على اتحاد دول المغرب العربي الثلاث(11), أي أن جبهة التحرير الوطني تعترف ضمنيا بالاستقلال القطري وتنشد تضامنها ووحدتها الفيدرالية في إطار الدفاع عن المصالح المشتركة، وهذه النظرة تكرست بعد إعلان الاستقلال التونسي والمغربي واعتمدت رسميا أفكارها في مؤتمر الصومام.

ويمكننا أن نؤكد أن قيادة جبهة التحرير الوطني في الداخل تبنت خيار التوجه القطري في العلاقات المغاربية خلال مرحلة المفاوضات وقبل الإعلان عن الاستقلال التونسي، وأعلنت هذا الخيار وانتهجته عندما أصبح استقلال تونس حقيقة مجسدة،

أما موقف الوفد الخارجي المتحالف مع أنصار صالح بن يوسف فكان ما يزال مترددا في الاعتراف بحقيقة الاستقلال التونسي ويدعو إلى الاستمرار في الكفاح المسلح حتى يتحقق الاستقلال الناجز لجميع دول المغرب العربي، وفضلا عن الخلاف بين الداخل والخارج كانت هناك أسئلة كثيرة ما تزال تطرح حول مدى صدق وإخلاص بورقيبة وحجم تمثيله، وأهمية التحالف مع صالح بن يوسف, فقرر عبان رمضان إرسال مبعوث إلى تونس لاستطلاع الوضع ميدانيا ،واختبار موقف بورقيبة بتقديم مجموعة من الطلبات ويتحدث محمد لبجاوي عن مهمته الناجحة بالقول: "...اتصلت ببورقيبة الذي كان قد شكل الوزارة بعد تعيينه رئيسا للحكومة، فاستقبلني بحرارة ومن أجل الحصول منه على تأييد علني للثورة الجزائرية قدمت له في عشرين نقطة تقريبا عدد من الطلبات الواضحة التي كان يمكن ان يشكل الكثير منها في هذه المرحلة الحاسمة من نشاطه السياسي مشكلات حقيقية ...استجاب الرئيس التونسي لكل مطلب بدون استثناء وبتلقائية و صدق مؤثرين"([12]), وعاد محمد لبجاوي ليعرض نتائج مهمته على قيادة الداخل ،مؤكد لها صدق نوايا بورقيبة وتضامنه الفعلي مع الثورة الجزائرية, وأن مكانته في تونس تتعزز وجماهيره كثر، وخلص الاجتماع إلى تأكيد حقيقة مفادها أنه لا يمكن تعميم المعركة في ظل وجود حكومة وطنية قبلت بالاستقلال، وليس مفيدا الدخول مع الحكومة التونسية في معركة مفتوحة بقدر ما هو مفيد كسب دعمها ومساعدتها لإعزاز الكفاح الجزائري خاصة أمام إعراب مسؤوليها عن تضامنهم وانشغالهم بالقضية الجزائرية([13])، وعندما تم تبليغ هذا الموقف الى الوفد الخارجي كان جواب خيضر ما يزال متحفظا على موضوع فض التحالف مع خصوم بورقيبة وتضمن تأكيدا على العمل مع صالح بن يوسف وكذا مع بورقيبة للاستفادة من دعم الطرفين، وأوضح أن اعتماد ورقة صالح بن يوسف مهمة في مغربة الحرب وفي دفع بورقيبة للتضامن أكثر مع الجزائر, وتساءل مؤكدا سداد موقفه " فأية طريقة أفضل من ان نجعل بورقيبة يمشي ومسلة بن يوسف في خصره نحن ننتظر وجهة نظركم حول هذه المسالة حتى نجعل موقفنا منسجما مع موقفكم..."([14])، والحقيقة أن مسؤولي الوفد الخارجي كانوا يلتمسون المبررات الكافية للحفاظ على التزاماتهم المغاربية وتأكيد توجههم الثوري المزاحم من قبل قادة الداخل خاصة بعد إقرار مؤتمر الصومام سياسة واقعية للعلاقات

المغاربية، وتوجيه أحد مسؤولي الداخل باسم جبهة التحرير الوطني رسالة مفتوحة الى بورقيبة عبر صحيفة الدستور في سبتمبر1956, وكان لانعقاد مؤتمر الصومام دون حضور الأطراف المهمة في العلاقة مع تونس أثره في تكريس سياسة جديدة مع النظام البورقيبي وخلق ازدواجية في التعامل مع التونسيين، وأما رسالة محمد لبجاوي الى بورقيبة فقد أثارت جدلا بين مسؤولي جبهة التحرير الوطني عموما وفي تونس خصوصا, اذ حسنت كثيرا من صورة بورقيبة وحملت إليه تقدير واحترام الجزائريين لشخصه ولنضاله "رغم سوء الفهم العابر", وتضمنت دعوة إلى تأكيد التضامن الأخوي بين الشعبين التونسي والجزائري والمساعدة في بعث الدولة الجزائرية المستقلة وإنشاء اتحاد شمال إفريقيا([15]) , ولاحظ المهتمون بالعلاقات الخارجية التونسية آنذاك أن عهد السياسة المناوئة لبورقيبة قد ولى, وشكك البعض في حقيقة الرسالة التي صبغت على بورقيبة الزعامة بعد أن رمي بالخيانة, واضطر قادة الداخل إلى تأكيد السياسة المنتهجة في مؤتمر الصومام، مؤكدين أن الرسالة تترجم حقيقة مواقف جبهة التحرير الوطني ,ولم يكن اتخاذ القرار والجهر به هو الأهم، فالأهم في نظر بورقيبة هو تجسيده في واقع التعامل الميداني، وبالنظر في الواقع المعاش وظروف الخلاف بين الداخل والخارج نجد أن تجسيد علاقات تعاون حقيقية مع النظام التونسي قد تأخرت إلى ما بعد اختطاف طائرة الزعماء الخمسة, فبحكم تبعية مسؤولية تونس إلى الوفد الخارجي لم تكن مهمة كسب ود وتفهم القادة الجزائريين بالسهلة على بورقيبة رغم ما تحقق له من تفاهم مع قادة الداخل غير المتحكمين في قاعدة تونس, وقد تأثر بورقيبة من كثرة المتحدثين باسم الثورة الجزائرية ومن المشاكل التي كان يتسبب فيها الجزائريون، فكان عليه أن يواجه ويداري, ويرهب ويرغب ليتجاوز خطورة المصاعب.

ومنذ عودته إلى تونس وأثناء مجابهته لحركة صالح بن يوسف وجد بورقيبة نفسه في مواجهة مجموعات من الثوار الجزائريين وتحالف عناصر تونسية وجزائرية تستمد عقيدتها من مشروع الكفاح المغاربي المشترك، وهذا التوجه العسكري والسياسي المضاد للبورقيبية مكن لنفسه في تونس بفضل التنسيق المحكم بين ابن بلة وقادة أوراس النمامشة، وقد ارتبط هذا التنسيق بميلاد الحركة اليوسفية والتحامها بالثورة الجزائرية.

وكانت ظروف خاصة تلك التي نشط فيها ابن بلة وقادة الأوراس, اذ حتمت خلالها المبادئ والارتباطات المغاربية صياغة موقف معاد لبورقيبة الذي خون موقفه, وذهب بعض قادة الثورة للدعوة الى تصفيته لأنه يقف في وجه الثورة المغاربية, ويعترض قوافل أسلحة الجزائريين(16), ولهذا ظل قادة الوفد الخارجي و قادة الجبهات الحدودية ملتزمين بخط التضامن مع اليوسفيين ،وبعضهم لم يستسغ التعامل مع بورقيبة حتى بعد استقلال تونس، وقد اجتهد بورقيبة في كسب الجزائريين لصالحه دون ان يحقق نجاحا كبيرا، وإن كان بعض القادة المحليين لمنطقتي سوق اهراس والنمامشة لم يفرقوا في البحث عن المساعدات بين اليوسفيين والسلطة التونسية، ومد اليهم الحزب وقادة الحرس الوطني يد المساعدة, وكلف بورقيبة محجوب بن علي برعاية شؤون الجزائريين في مناطق الحدود, وطلب من احمد التليلي التفرغ لمسؤولية العلاقة مع الجزائريين

وقد بادر قادة منطقة سوق أهراس وبتوجيه من بوقلاز مبكرا للتنسيق مع أعوان بورقيبة حيث قدم الحزب وأعضاء الحكومة مساعدات ثمينة(17), وأجرى محمد لصنام المكلف من قبل جبار عمر بالتموين في تونس(18) اتصالا مباشرا مع بورقيبة بوساطة المحجوب بن علي, ودار الحديث عن تعامل الجزائريين مع الطيب الزلاق الثائر في منطقة الأربعاء, وطلب بورقيبة الكف عن ذلك وتعهد قيادة سوق أهراس بقطع الصلة مع المعارضة اليوسفية, وهذا الأمر أغضب عباس لغرور وعبد الحي كثيرا(19), ويذكر الوردي قتال أنه تلقى رسالة من بورقيبة يطلب منه عدم مهاجمة الفرنسيين فوق التراب التونسي وانه لم يابه بها لان توجيهات عباس كانت لا تضع لسلطة بورقيبة اعتبارا(20), وتؤكد رواية عاجل عجول أن بورقيبة أرسل في بداية عام 1956 رسالة يعترف فيها بتمثيل منطقة الاوراس في تونس بواسطة عبد الحي، ويطلب التدخل لدي قيادة سوق أهراس لمنع جنودها من الدخول إلى تونس لأن فرنسا تحتج عليه(21), وإثرها توجهت بعثة عثماني عبد الوهاب(22) إلى تونس, واتصل عثماني ومحمد العيفة بمحمد المصمودي والرئيس بورقيبة، ولم يكن عبد الحي وجماعته راضين عن هذه الاتصالات المباشرة، كما نسجل أن ممثل عباس لغرور لم يشاركهما اللقاء(23), وعموما لم يكن الاضطراب في هذه المرحلة الحساسة مقتصرا على منطقتي سوق أهراس والنمامشة, وقد أدى الى مقتل جبار عمر بل امتد الى تونس, حيث أظهر

عبد الحي عداوة لقادة النمامشة الرافضين لسلطة عباس لغرور، ومثلما رفض استقبال موفدي الداخل (آيت حسن وروابحية) رفض مبادرة الصلح المقدمة من قبل بعثة عثماني([24]), وقد عرف عن شخصية عبد الحي تصلب الموقف وميوله الجهوية وخدمة أوليائه لغرور وابن بلة والوفاء للتحالف مع اليوسفية، وفي ظل الصراع على قاعدة تونس بين الداخل والخارج وبين القيادات الجهوية أصبح موقف جبهة التحرير الوطني محرجا في تونس، وتسببت الاضطرابات في مشاكل عديدة مع نظام بورقيبة وهو يباشر سلطته على تونس([25]), وفي ظل الوضع المضطرب للثورة وتواصل الخلافات المؤثرة على قاعدة تونس كان على بورقيبة أن ينتظر حتى تتوضح أمامه مواقف الثورة، فبعد استقلال تونس وترحيب مسؤوليها بدعم الثورة الجزائرية تواصل تعامل عبد الحي مع أنصار صالح بن يوسف سرا, وكان نفوذه القوي في العاصمة وفي الجنوب يزيد في غروره, كما ان مبادرة قيادة الداخل بإرسال مبعوثين لتمثيل الثورة في تونس زادت في استنفار احمد بن بلة لأنصاره (لغرور، عبد الكريم هالي، عبد الحي) من اجل تأكيد نفوذ الخارج على قاعدة تونس الإستراتيجية, وتفيد بعض الشهادات ان تحولا حصل في موقف عباس لغرور فبدأ يميل الى قبول التعامل مع السلطة والمعارضة في آن واحد, وذلك من أجل خدمة مصلحة الثورة الجزائرية التي تحتاج الى تضافر جهود الطرفين([26]).

وبادرت الحكومة التونسية في إطار مساعيها لفرض النظام للاتصال بقيادة الداخل طالبة إيفاد مسؤول يسوي المشاكل القائمة، فكلف عبان رمضان حامد روابحية بهذه المسؤولية ولما حل بتونس في مارس 1956 ,وعاين الوضعية المضطربة اجتمع بالوزيرين الباهي لدغم والطيب المهيري الذين اشتكيا له من تعامل الجزائريين مع المعارضة طالبين منه التزام الثوار الجزائريين الحياد بخصوص الخلاف بين أنصار بورقيبة وأنصار ابن يوسف، وأن يتخذوا الشريط الحدودي قاعدة خلفية للاستراحة ولا يحولوه إلى ساحة قتال مع الفرنسيين.

ثانيا .لجنة التنسيق والتنفيذ وبناء علاقات جديدة مع تونس:

في ماي 1956 عين عبان روابحية وآيت حسين ممثلين للثورة في تونس، وفي نفس الوقت كلف دباغين برئاسة الوفد الخارجي في القاهرة ، الأمر الذي زاد في حدة الصراع بين الداخل والخارج، وقد رفض عبد الحي وجماعة الاوراس الاعتراف بقرارات الداخل، وأقدم بعدها عبد الحي على اعتقال مبعوثي الداخل وتدخلت السلطات التونسية لاعتقال عبد الحي وجماعته والإفراج عن روابحية وآيت احسن، لكن هذين الأخيرين اعتبرا الأمر تدخلا في الشؤون الجزائرية، وأنه لا يجوز للتونسيين فعل ذلك، وطالبا بإطلاق سراح المعتقلين وتشكيل لجنة لتمثيل الثورة في تونس تضم جميع الأطراف المتخاصمة([27]), وخضعت السلطات التونسية للأمر الواقع لكنها ظلت تشتكي من خروقات الجزائريين وعدم احترامهم للسيادة التونسية، خاصة وأن بورقيبة كان منشغلا بما يثيره الجزائريين من مشاكل داخل تونس تتسبب في تعطيل المفاوضات مع فرنسا[28]()، وتحول دون إنشاء جيش وطني تونسي, وفي ليلة 14 ماي 1956 وقعت مواجهة بين المجموعات الجزائرية المتنازعة في ضواحي تونس العاصمة, وأدى حصارها الى مقتل عنصرين من قوات الحرس الوطني التونسي, ونظرا لحساسية الظرف تاثر بورقيبة وحكومته بهذا الحادث المؤلم والمؤثر على العلاقات مع فرنسا، ودعا بورقيبة الى اجتماع حضره التليلي ولدغم وعبد الله فرحات وعبد الجليل المهيري، وبعد مناقشة الوضع من جوانبه المختلفة تقرر إبلاغ قادة الثورة في الداخل والخارج خصوصا بخطورة الوضع وضرورة وضع حد لانتهاك السيادة التونسية، وكلف بورقيبة عبد الجليل المهيري بمعالجة المسألة مع الوفد الخارجي، ويذكر هذا الأخير في شهادته أنه عقد لقاء رفقة الصادق لمقدم سفير تونس في القاهرة مع ابن بلة وخيضر وبزيد، تدارسوا خلاله المشاكل المطروحة في تونس وسبل تعزيز العلاقة مع السلطات التونسية, واجتهد الطرف التونسي في كسب ود القادة الجزائريين للتعاون مع حكومة بورقيبة وقدم عروضا مغرية من المساعدات لم تكن منغصة بشروط القطيعة مع اليوسفية، وتضبطها شهادة المهيري في النقاط الثلاث الآتية:

. تعيين ممثل للثورة يكون مرجعا للحكومة التونسية في جميع المعاملات.

. تنظيم ندوة مغاربية لمناقشة مسألة دعم الجزائر, وتنسيق المواقف وسبل تصفية الاستعمار.

. تقديم مقترح للسلطات التونسية لاحتضان قيادة الثورة في تونس بما فيها الوفد الخارجي[29].

ويبدو واضحا أن مقترحات بورقيبة كان هدفها كسب رضا قادة الوفد الخارجي, وخاصة ابن بلة الذي أبدى استعدادا لقبول العرض التونسي وأيد فكرة تعيين ايت احسن ممثلا في تونس وطلب تقديم البعثة التونسية في روما تسهيلات للثورة الجزائرية، ويبدو أن مشروع بورقيبة لاحتواء قادة الثورة وإبعادهم عن القاهرة والتخلي عن مشروع الحل الشمولي والقومية العربية لم يحقق النجاح المامول، ولا نجد تفسيرا واضحا لقبول ابن بلة لمساعدات التونسيين والعمل التنسيقي مع سفارة تونس في ايطاليا وإحجام محمد خيضر على تكريس التعامل مع نظام بورقيبة, وتأكيده على أهمية التحالف مع المعارضة اليوسفية([30]), فهل هذا يعد لعب أدوار أشارت اليه رسالة خيضر لعبان رمضان بتاريخ 6 جوان 1956([31])، أم أن حاجة الثورة إلى الدعم المقدم في روما دفع بإبن بلة للتظاهر بقبول العرض التونسي؟. خاصة وأن بعض الشهادات تؤكد أن أحمد ابن بلة كان يرسل في الوقت نفسه التعليمات المناقضة الى عبد الحي تحرضه على مواجهة مبعوثي الداخل والحفاظ على الخط الثوري المنتهج([32])، والمؤكد أن الوضع بتونس لم يتغير, واستمر عبد الحي على موقفه، ولم يستكن بورقيبة وهو يعرف أن الحل بيد الوفد الخارجي فخطط لكسب عناصر أخرى ضمنه, ومنهم أحمد توفيق المدني ومحمد الأمين دباغين، وقد يكون قادة الداخل أوحوا إليه بذلك، ففي القاهرة التقى مبعوثو بورقيبة الصادق المقدم والطيب سليم مع دباغين والمدني واقترحا عليهما مبادرة الحكومة التونسية للإشراف على مهمة تمرير الأسلحة بدل اعتماد أنصار صالح بن يوسف، وفي يوم 19 جوان 1956 التقى الباهي لدغم والرشيد إدريس بأحمد توفيق المدني وتدارسوا العلاقة مع حكومة بورقيبة واتفاق تمرير الأسلحة، وأكد لهما المدني أن موقف الوفد الخارجي يؤكد على مسألة التعاون مع حكومة بورقيبة, وتجسيد اتفاق تمرير الأسلحة بواسطة الحكومة التونسية ضمانا لتسليمها للمجاهدين على الحدود([33]).

وازداد اضطراب الوضع في تونس، وأثر ذلك على مرور الأسلحة، وتفاقمت المشاكل بتصاعد الخلاف بين الداخل والخارج عقب مؤتمر الصومام وتنامي التنافس بين قيادات الأوراس والنمامشة وسوق أهراس و السوافة، وقد نقل هؤلاء خلافاتهم الى

تونس في سبتمبر 1956, إذ دعا عبد الحي ولغرور قادة النمامشة للاجتماع في تونس وفض إحدى مشكلات القيادة المستعصية، وخططا لاغتيال قادة النمامشة المجتمعين، فكان حادثا أليما([34]) سمح للسلطات التونسية بالتدخل وإلقاء القبض من جديد على عبد الحي وجماعته، أما عباس فتسلل الى الحدود, وفي طريقه خاض معركة مع القوات الفرنسية داخل التراب التونسي احتجت عليها السلطات التونسية([35]), وتدخل أحمد ابن بلة ليعين أحمد محساس ممثلا للثورة في تونس([36]), فهل سيتمكن هذا الممثل من إنقاذ الوضع المتدهور وتحسين العلاقات مع تونس أم أنه سيزيد في حدة الصراع على السلطة ؟.

لقد عرف أحمد محساس بموالاته لأحمد ابن بلة عندما كان يشرف على السلاح في ليبيا ونقله الى تونس, وجاء تعيينه في هذا المنصب بهدف تثبيت سلطة الوفد الخارجي على قاعدة تونس الإستراتجية، ولم يكن ينقص محساس الدهاء والحنكة لإرضاء الجميع في تونس جزائريين وتونسيين, فقد أقر بإنشاء القاعدة الشرقية لقادة سوق أهراس ووطد علاقاته مع قادة النمامشة والاوراس والسوافة، وكسب إلى جانبه تعاون المسؤولين التونسيين([37]), وكانت حكومة بورقيبة تقدم له دعمها أملا في قطيعة الجزائريين مع الثوار اليوسفيين واحترامهم للسيادة التونسية، لكن محساس وإن استطاع توحيد كلمة الجزائريين وراءه وأظهر احتكامه لقرارات السلطة التونسية إلا أنه ظل يتعامل مع اليوسفيين، كما أن ارتباط بعض المجموعات الجزائرية بالعناصر اليوسفية في الجنوب كان يثير الشكوك حول حقيقة موقفه من المعارضة التونسية([38]).

واهتم محساس بمسألة التسليح وتقوية قدرات القاعدة الشرقية والاوراس, ولم تكن علاقاته بحكومة بورقيبة واضحة المعالم، خاصة وأن دعمها ظل دائما مشروطا بمدى الخضوع لمطالبها، ولهذا اعتمد على الجزائريين المستقرين في تونس وعناصر القاعدة الشرقية في التموين والتسليح، وفرض صرامته في التعامل مع السلطات التونسية, وأما هذه الأخيرة فلم تطمئن لجانبه, وقد دعتها تجربتها السابقة مع مسؤولي الثورة للحياد وتجنب ما قد يثير حساسية الجزائريين النافذين في تونس([39]), وكان قد أثار معارضة شديدة لمؤتمر الصومام بتوجيه من ابن بلة, وجمع حوله قادة سوق أهراس والاوراس، وكان يعتزم إعلان هذه المعارضة أثناء اجتماع قادة الوفد الخارجي

في مؤتمر تونس في 23 أكتوبر 1956 لكن اختطاف طائرة الزعماء الخمسة حال دون ذلك(40), وفي ديسمبر 1956 اجتمعت قيادات القاعدة الشرقية وأوراس النمامشة مع محساس وأعلنت رفضها لمقررات مؤتمر الصومام ومعارضتها للجنة التنسيق والتنفيذ وتزكيتها لمحساس(41)، وكانت المواجهة عنيفة في تونس بين محساس وأنصاره المتمسكين بالشرعية الثورية ولجنة التنسيق والتنفيذ المصممةعلى تنفيذ مقررات الصومام، وهكذا استمرت المجابهات بتونس, إذ يذكر آيت احسن أن السلطات التونسية أعلنت عن حيادها وفضلت مراقبة الوضع وهي تشتكي باستمرار من مشاكل الجزائريين(42)، وعندما جاء دباغين الى تونس لمحاورة الحكومة التونسية وتفنيد افتراءات محساس في ديسمبر 1956 وجد التونسيين مترددين في اختيار الموقف، ويناورون لكسب الورقة الرابحة(43), وعندما تأكدت السلطات التونسية من نفوذ لجنة التنسيق والتنفيذ القوي رحبت باوعمران محاورا, وسهلت مهمته في تونس، وبالمقابل سمحت لمحساس بالفرار من قبضته ،ووفرت لنفسها سياسة بديلة(44)، ومثلت بداية سنة 1957 انتظاما للعلاقات الجزائرية التونسية وتكريسا لسياسة التعاون, وهكذا أنهيت مرحلة التردد بالاعتراف بسلطة بورقيبة, وفسح المجال لبناء علاقات تعاون وطيدة .

الخاتمة:

ويتبين من خلال تتبعنا لمسيرة العلاقات الجزائرية - التونسية في مرحلة ولادة السلطة التونسية أن الثورة الجزائرية أكدت حضورها القوي في قاعدة تونس الإستراتيجية، وأنها أثارت مصاعب لسلطات كانت تبحث عن الاعتراف بشرعيتها واحترام سيادتها، وقد مر تكريس العلاقة بين الطرفين بمراحل حاسمة وصعوبات جمة، وانتهت بإرساء علاقات منظمة ووثيقة بين لجنة التنسيق والتنفيذ وحكومة بورقيبة، وهو ما سمح بتجاوز المشكلات التي كانت تعيشها الثورة في تونس، وخدمة مصالح وأهداف الطرفين.

الهوامش

[1] L'EBJAOUI Mohammed; **Verité sur le révolution Algerienne** ,ed; Gallimar, Paris, 1970 .p 97

[2] الحيبي بورقيبة: **حياتي، أرائي، جهادي،** منشورات كتابة الدولة للاعلام، تونس، 1978، ص213

[3] انظر محمد الحبيب المولهي : **الوطن والصمود** , ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1991, ص267

[4] انظر , الحزب الحر الدستوري التونسي: **المؤتمر الوطني بصفاقس من 15الى19 نوفمبر 1955** , مطبوعات ش ت ف ر, تونس ,1955 , ص65

[5] انظر خطابه يوم 12 جانفي 1956،الحبيب بورقيبة : **خطب،** ج2، كتابة الدولة للاعلام ، تونس, 1974 ، ص 317

[6] **المصدر نفسه**

[7] Mohammed LBJAOUI **op cit** p.p 96 . 99

[8] انظر هذه الوثيقة الهامة صحيفة العمل التونسية L ACTION .du 16 Avril 1956

[9] نعتمد في تحديد هده الفترة بما دكره لبجاوي من انه عاد الى الجزائر واستشار رفاقه في موضوع الحوار الصحفي نهاية عام 1955 وان سفره الى تونس سنة 1956 تم عشية الاعلان عن استقلالها ,

[10] 1956 Avril17 **LE MONDE** du

[11] **L ACTION** du 16 Avril 1956 .

[12] Mohemmed LBJAOUI .**op cit** P P 105.106

[13] انظر رسالة خيضر الى عبان بتاريخ 6 جوان 1956ردا على رسالة عبان بخصوص موضوع العلاقة مع تونس

BELHOCINE Mabrouke: **Courier –Alger- le Caire 1955-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution** , Casbah ,Alger, 2000 . p 180

[14] **IBID**

[15] انظر نص الرسالة كاملا وردود الفعل عليها Mohammed LBJAOUI : **op cit** , p- p107.108

[16] انظر شهادة الوردي قتال , مقابلة مع الباحث، تبسة، 17 جويلية 2005.

[17] انظر حوار مع المجاهد العقيد عمارة بوقلاز, مجلة **أول نوفمبر**، عدد 112. 113، جانفي . فيفري 1990، ص 12 . ويضيف بوقلاز ان بابن بلة اشترط منه مقابل تسليمه السلاح التعاون مع أنصار صالح بن يوسف وتحمل نفقات نقل السلاح والخضوع لسلطته.

[18] تشير تقارير القيادة العسكرية في تونس الى دوره على رأس مجموعة من المجاهدين انظر أرشيف المصلحة التاريخية للجيش البري الفرنسي .

S.H.A.T 2H 310 dos 2 rapport du 20 mai 1956

[19] شهادة الوردي قتال , سبق ذكرها , و شهادة قنز محمود المقدمة لزروال. محمد زروال : زروال محمد: **اللمامشة في الثورة ،** ط1، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 267

[20] شهادة الوردي قتال , مقابلة مع الباحث

[21] شهادة عاجل عجول , مجموعة باحثين: **مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية**، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 1999، ص . ص 415 -416

[22] بعثة شكلها قادة الاوراس لفض الخلاف بين قادة سوق اهراس وقادة النمامشة ضمت ممثل ابن بو العيد محمد العيفة وممثل عجول عثماني وممثل لغرور دونا عمار , وخرجت الى تونس لاستكمال تحقيقها.

[23] انظر شهادة محمد العيفة بن علي: **مصطفى بن بو العيد و الثورة الجزائرية** ,المصدر نفسه ،ص . ص 515.516

[24] انظر شهادة عثماني عبد الوهاب : **المصدر نفسه**, ص, 506

[25] انظر شهادة ابراهيم مزهودي .محمد عباس : **رواد الوطنية** , مطبعة دحلب ، الجزائر، 1992, ص,301

[26] انظر شهادة علي فارس , مقابلة مع الباحث، تبسة، 17 جويلية 2005.

[27] انظر شهادة روابحية ، محمد عباس: **المرجع السابق** ،ص, 246 وما بعدها، وتقرير ابراهيم مزهودي عن مهمته في تونس، محفوظات شخصية. ومحمد زروال **: المرجع السابق** , ص, ص 320 ، 321

[28] في 12 ماي 1956 طالب بورقيبة في المجلس التأسيسي بالتمثيل الخارجي لتونس وبادر بعد شهر الى إنشاء وحدات الجيش الفرنسي, وكانت المرحلة حساسة من طريق فك قيود اتفاقية 20 مارس 1956 التي تضع شؤون الدفاع والخارجية في يد فرنسا.

[29] انظر شهادة عبد الجليل المهيري , محفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، منوبة، تونس.

[30] أثار محمد خيضر جدالا ومعارضة في اجتماع الوفد الخارجي بتاريخ 01 جوان 1956 أثناء مناقشة طلب مبعوثي الداخل الى تونس المتضمن التعامل مع بورقيبة وحكومته بدل العمل مع صالح بن يوسف لأن قضية خاسرة وأنصاره قلة , انظر, احمد توفيق المدني : **حياة كفاح مذكرات**، الجزء الثالث، ط2، م و ك ، الجزائر ، 1988 ، ص . ص 151.152، وقد أعرب خيضر في مؤتمر صحفي بتاريخ 26 جوان 1956 عن الموقف نفسه ,انظر ,**المصدر نفسه**, ص 161

[31] Mabrouk BELHOCINE . **op. cit** p 180

[32] انظر شهادة الوردي قتال سبق ذكرها, ومحمد زروال: **المرجع السابق** ، ص, ص319 .320

[33] انظر احمد توفيق المدني : **المصدر نفسه**، ص . ص، 148 ، 166، 167

[34] قتل فيه الزين عباد وبشير عبدودي وجرح لزهر شريط وساعي فرحي والوردي قتال جروحا بليغة، انظر شهادة الوردي قتال, مقابلة مع الباحث سبق ذكرها, ومحمد زروال : **المرجع السابق**, ص ص, 224-240 .

[35] انظر محمد زروال : **المرجع نفسه** , ص . ص , 340-358

[36] انظر,احمد توفيق المدني : **المصدر نفسه** , ص186

[37] شهادة احمد محساس , مناضل في الحركة الوطنية ومسؤول قاعدة ليبيا , ثم قاعدة تونس، مقابلة مع الباحث ، الجزائر العاصمة , 9 جويلية 2005

[38] انظر, محمد حربي : **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983 , ص, 160

[39] شهادة محساس , مقابلة مع الباحث، سبق ذكرها.

[40] شهادة الوردي قتال, مقابلة مع الباحث، وشهادة الطاهر الزبيري المقدمة لزروال ، محمد زروال: **المرجع السابق**، ص 309.

[41] انظر النص الذي أورده الديب، الديب فتحي: **عبد الناصر وثورة الجزائر**، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص . ص, 673-674

[42] انظر تقرير آيت احسن عن الوضعية في تونس Mabrouk BELHOCINE **op cit** p 214

[43] احمد توفيق المدني : **المصدر السابق** ,ص, 336

[44] حربي محمد : **المرجع السابق** ,ص, 160